قال شهريار :

– ارأيت يا شهرزاد الى عذارى المدينة وقد أقررن لك بالفضل ، اذ كنت الامل الذي يرتقبنه منقذاً لحياتهن من فتك سيفي ؟

قالت شهرزاد :

– او تحسبهن كن يعلقن علي املا عندما قدمني ابي اليك زوجة ..؟

قال شهريار :

– لقد عشت سنوات طويلة والخوف يقتل كلا منهن ، ويؤرق أحلامها ، ترقب تلك الليلة المنكودة التي تزف فيها الي ، ولقد كان يراودهن جميعاً امل في مخلص يضع حداً لهذا الارهاب الذي يعشن فيه ، وكأنما استجابت السماء لهن فارسلتك ..

فقاطعته شهرزاد وهي تضحك ساخرة :

– أتؤمن يا مولاي بخرافة الفرد المخلص ..؟ انها خدعة كبرى تراود النفوس الضعيفة كلما حزبها امر وانبهمت في وجهها المسالك ، أو لم تسمع قصة العذراء (ماهاتاب) ؟

فعبس شهريار قائلا :

– كأنك تريدين إزعاجي بفكرة من افكارك الغريبة !.. وما قصة العذراء (ماهاتاب) ..؟

فاضطجعت شهرزاد في مقعدها ، واكتسى وجهها بابتسامتها الغامضة ، وانشأت تقول :

١

« كان كل شيء في الصحراء يتأهب للنوم ، فالشمس تتسلل الى مخدعها في الغرب حيث يسدل الشفق أستارا وردية ، والكثبان تتثاءب من بعيد حول القافلة التي اناخت بجوار النبع قبل ان يدهمها الظلام ، وتصهال الخيل يتجاوب خافتاً بين لحظة واخرى مع صياح الرجال وهم يتنادون حول الخيام . ثم القى المغرب الكئيب ظلاله الرمادية على الكون ، وساد الصمت الا من همس خافت يتلصص من خيمة النساء اللائي اجتمعن حول (ماهاتاب) الحسناء التي رافق (ماهاتان) القافلة من اجل عينيها الناعستين .

كان (ماهاتان) قاطع طريق يتعرض للقوافل المسافرة بين سمرقند والهند ، وكانت له عصبة من رجال عشرة ، كلهم شباب لا يملك من دنياه الا رأسه وسيفه وجواده ، وكانت لهم غزوات موفقة على القوافل يخرجون منها بغنائم ثمينة يبيعونها في اسواق سمرقند وينفقون ثمنها في لهوهم العابث قبل ان يعودوا الى معتصمهم في جبال (لاي شي) . وكان (ماهاتان) قائداً لهذه العصبة لانه اكثر افرادها شجاعة وذكاء لبقا ، كما كان وسيماً أنيقاً يملأ العين بهاء ورونقاً ، فيخدع تجار سمرقند عندما يعرض عليهم غنائمه كتاجر جواب آفاق .

ولم يكن (ماهاتان) قد عرف الحب .. حتى نزل مع عصبته الى سمرقند ، ورأى قافلة تتجهز للرحيل ، فتسلل اليها يتفحص بضائعها التي ستكون هدفاً لهجمته القادمة ، ولكنه رأى ان اثمن ما في القافلة هي (ماهاتاب) السمراء ذات العينين الناعستين والشعر الاسود الذي ينسكب على ظهرها حتى يمس كعبيها .

وهكذا عرف (ماهاتان) الحب للمرة الاولى ، وعندما احتواه النوم في الخان ليلا بين عصبته ، جاءه في المنام شيخ مهيب حك اللحية يتفجر من عينيه واصابعه وانفه نور ساطع يبهر النظر .. وقال له :

– اما آن لك يا (ماهاتان) ان ترجع عن ضلال الشباب وغيه ..؟!

فأحس (ماهاتان) بكلمات الشيخ تنفذ الى شغاف قلبه وترسل الدمع الى عينيه ، فجثا امامه وقبل قدمه ، فمسح الشيخ على رأسه وقال :

– التوبة يا (ماهاتان) تجب ما سبقها من خطيئة .. ولسوف اغفر لك كل ما اقترفت من آثام اذا اقسمت لي ان تكون شريفاً ..

وصمت الشيخ برهة وهو يحدق في (ماهاتان) ثم قال :

– انك تحب (ماهاتاب) .. اليس كذلك ..؟ اتراها ستحبك وانت قاطع طريق ..؟ وهل ترضى انت ان تجعلها تشاركك حياة الكهوف وتتعرض معك للأخطار القاتلة التي تصادفك كل يوم ..؟!

فهمس (ماهاتان) ودموعه تبلل قدمي الشيخ :

– انجدني (ماهاتاب) ايها الشيخ الجليل ..؟

– لقد احببتك منذ رأتك تطوف اليوم حول خبائها .. وهي تريدك .. ولكنها لن تقبلك وانت قاطع طريق ..! فليس امامك اذن الا سبيل واحد .. التوبة ..!

– انها سترحل اليوم مع قافلتها .. ولن اراها بعد ذلك الا .. الا اذا اختطفتها ..

– لماذا لا تنضم الى القافلة ..؟! ان معك بعض المال .. فلم لا تحترف التجارة ..؟ سافر معها الى بلادها..وهناك تستطيع ان تبدأ حياتك الجديده في ظل حبها الوارف ..!

ثم وضع الشيخ يده على رأس (ماهاتان) وقال :

– قم (يا ماهاتان).. فانا اباركك .. وسأنتزع الشر المظلم من قلبك وافعمه خيراً وضياءً ..

فهب (ماهاتان) من جثوته وقد احس بانه اصبح رجلا غير الرجل ، وتطلع الى الشيخ الذي يتفجر من عينيه وانفه واصابعه نور ساطع ثم سـأله :

– من انت ايها الشيخ الجليل الذي بارك روحي ؟

– الم تعرفني بعد يا (ماهاتان)..؟ انا (اهورا) الهك الخيّر..لقد طالما اوضعت في ظلام اله الشر .. ولكنني جئتك الليلة لاسكب عليك من نوري واتخذك جندياً من جنودي .

ثم استيقظ (ماهاتان) من نومه على شخير عصبته ، وكان غبش الفجر قد تسلل من الكوة ، فتطلع الى وجوه رفاقه حوله فرأى يد اله الشر تكسو سماتهم شقاء وظلاماً ، فتسلل من بينهم وحمل نقوده وسيفه ، ثم امتطى جواده وانطلق يستقبل اشعة الشمس الاولى تتجاوب مع اشعةالنور الذي انبثق في قلبه .

وبعد يومين خرجت القافلة من سمرقند قاصدة الهند وقد انضم اليها (ماهاتان) تاجر السجاد يقود امامه جوادين موقرين ببضائعه . »

***

وصمتت شهرزاد لتلتقط انفاسها فقال شهريار :

– قاطع طريق يتوب ، وغادة فاتنة ، واله الخير والنور ..!.. كل شيء جميل الى هنا .. ثم ماذا ..؟

فعادت شهرزاد تقول :

٢

« ومضت ايام لم يقدر (لماهاتان) خلالها ان يرى (ماهاتاب) ، ولكنه عرف الكثير عنها ، فهي ابنة شيخ القافلة التي تضم عشرين من اخوتها ، وأبوها احد اقطاب قبيلتها التي تقيم في قرية نائية في بلاد الهند ، وكانت تعيش مع قبيلتها في عزلة ، ولعلها لم تتعد نطاق الجبال التي تحيط بقريتها قبل ان تخرج مع هذه القافلة التي رحلت الى سمرقند لتحمل منها ما تحتاجه طوال العام .

وكان الامر خليقاً ان يبعث الملل الى نفس (ماهاتان) لولا تلك الليلة التي حطت فيها القافلة رحالها حول النبع ، فما كاد الغروب الكئيب يغلف الكون بظلاله الرمادية حتى اجتمع الرجال في متسع من الارض خلف الخيام ، وجلسوا في حلقة كبيرة ، فظن (ماهان) انهم سيقيمون سمراً ، فانسل من خيمته الى حيث اجتمعوا وارسل طرفه باحثا عن (ماهاتاب) فلم يجدها ،بل لم ير امرأة واحدة من النساء اللاتي تضمهن القافلة ، فوقف حائرا دهشا .. أيقام سمر بلا نساء ..؟ وتطلع الى الرجال في تحلقهم فازداد عجبا وحيرة ، اذ لم يكن في جلستهم ما يوحي بأنهم سيسمرون ويلهون ، فقد علت وجوههم مسحة من الحزن والكآبة ، وتشابكت ايديهم على صدورهم في ضعف وخور ، واطرقوا الى الارض في اسى ، ولم يكن هناك ما يدل على انهم احياء الا تلك الهمهمة المبهمة التي تصدر عنهم ولا يعي لها معنى .

واحس (ماهاتان) بيد تجذبه من ذراعه .. واذا بشيخ القافلة يسير به بعيداً عن الرجال ثم يقف ليقول له في همس :

– ايها الغريب .. لا مكان لك بيننا ..!

– الا تشركون رفيق سفر في سمر ؟!

– ما هذا بسمر ايها الغريب . انه بكاء القمر .!

واشتدت دهشة (ماهاتان) وهم بالسؤال ، ولكن نظرة كئيبة في عين الشيخ ردته عن ذلك ، ثم عاد الشيخ الى رجاله يتصدر حلقتهم ، وسار (ماهاتان) الى النبع حيث جلس يفكر في (ماهاتاب) ، وفي الهه (اهورا) الذي جاءه في النوم ، وفي عصبتهالتي هجرها في الخان .. ثم احس بأقدام تخطر بجانبه .. فالتفت ورآها .. كانت (ماهاتاب) فوثب قائماً وقال :

– سلاما فتنة الليل ..!

فتلفتت حولها في تردد ثم قالت :

سلاما ايها الغريب .. لماذا لم تنضم الى الرجال في بكاء القمر .؟

– وهل يبكي القمر حقا يا حسناء .؟!

– ليس هو من يبكي .. وانما نحن الذين نبكيه .. !

– ولماذا ..؟.. أمات . !؟

– انه يحتضر الآن .. سيظهر رفيعاً ناحلا وقد تقوس ظهره من الضعف .. ولن يستطيع ان يتجول في السماء الا ساعة .. ولكننا نبكي ونستعطف الاله (مونا) فيستجيب لنا ويعيد الى القمر الحياة .. !

– الهك اسمه (مونا) ؟

– نعم .. ألا تعرفه .؟ انه اله كبير .. كبير جداً .!. ان ساقه اطول واضخم مني !

– ساقه .؟! واين رأيتها .. ؟

– هناك .. في سفح الجبل امام المعبد .. كثيراً ما كنت اذهب اليه واجلس فوق قدمه مستندة الى ساقه ..!

فضحك (ماهاتان) وقال :

– ما اسعد هذا الاله ! ألم يلق في اذنيك أشعاراً وانت جالسة على ساقه ؟!

فقالت (ماهاتاب) في سذاجة :

– يلقي اشعاراً ..؟ انه لا يتحدث الينا .. ولكن (كومو) هو الذي يفهم وحده ما يريد .. إن (كومو) هو الكاهن الاعظم ..!

فدنا منها (ماهاتان) وامسك بيدها بين كفيه وقال :

– اذن .. سوف تستعطفون (مونا) الآن ليعيد الى القمر الحياة ؟ الا ترين ان الدنيا لا تخسر كثيرا اذا مات القمر .؟ اليس سناك ابهى من سناه .؟

فاطرقت (ماهاتاب) ثم همست :

– اتحبني ايها الغريب ..؟

– انا ما رافقت القافلة الا من اجلك .. لقد رأيتك في السوق فتبعتك الى هنا .. وسأتبعك اينما تذهبين ..

– وانا ايضا رأيتك في السوق .. ورأيتك وانت ترافق القافلة .. الم تخطبني من ابي بعد ..؟

فخفق قلب (ماهاتان) فرحا وقال :

– سأفعل ذلك الليلة .. بل الآن ..

– لا .. انتظر الى الصباح حتى ينتهي بكاء القمر .. سيقول لك انني مقدسة .. وانني ابنة الاله (مونا) .. وليس له ان يزوجني .. فقل له

انك ستشتريني من الكاهن الاعظم (كومو) ..

فصاح (ماهاتان) في دهشة :

– ابنة الاله (مونا) ..؟.. من ..؟.. أنت ..؟!

وهمت (ماهاتاب) ان تجيب . ولكن طبولا دوت مختلطة بصراخ رجال .. فجذبت يدها وهي تقول :

– لقد بدأ البكاء .. وينبغي ان اعود ..

وفي الصباح .. عندما تقدم (ماهاتان) الى شيخ القافلة يخطب منه ابنته صمت هذا قليلا ، ثم قال وهو يتخلل لحيته باصابعه :

– حسناً ايها الغريب .. اذن فانت تريد (ماهاتاب) ؟

– نعم .. ولهذا جئت معكم .!. ولدي ذهب كثير اشتريها به من الكاهن الاعظم (كومو)

فشردت نظرات الشيخ الى الافق البعيد ثم قال :

– ليس الذهب كل شيء ايها الغريب .. فلدى (كومو) من الذهب اكثر مما يستطيع خيالك ان يتصور .. ولكنك لا تعرف شيئا عن بنات الاله (مونا) .. انهن مقدسات يولدن وفيهن علامات يضعها الاله ليدل الكاهن الاعظم على انهن بناته .. فيتولى الكهنة رعايتهن حتى ينمون وينضجن .. فيرسلون للاله كل عام واحدة منهن ..

– يرسلون اليه واحدة .؟ وكيف ..؟

– يدخلونها النار المقدسة ..!

فصرخ (ماهتان) جزعا :

– يحرقونها ..؟

– ليس هذا احراقاً ايها الغريب .. انه عودة الاله الاب ..

– وسيفعلون ذلك بماهاتاب .!؟

– الا اذا رضي الاله «مونا» بزواجكما .. وعندئذ لا تدخل النار المقدسة الا اذا ماتت .. او مت انت .

وعندما التقى (ماهاتان) ليلا (بماهاتاب) ضمها الى صدره .. ورفع عينيه الى السماء وابتهل قائلا :

– اي (أهورا) .. يا الهي الطيب الوديع .. تولنا بحمايتك .. فانت الذي ارسلت لي خلف ماهاتاب .. فلا تتخل عني ..

فظهرت له هالة من نور يلوح وسطها شيخ مهيب كث اللحية .. يتفجر النور من عينيه وانفه واصابعه .. وقال (لماهاتان) في صوت هادىء عميق :

– انا لا اتخلى عن جندي من جنود يا (ماهاتان) .. سأكون معك في كل ما يعرض لك .. ولكن اياك ان تغفل عني.

فاختنق صوت (ماهاتان)بالبكاء وهو يقول:

– لن اغفل عنك لحظة واحدة .. انك استقررت في قلبي منذ جئتني في الخان ليلا ..

واختفت هالة النور .. ورفعت (ماهاتاب) رأسها عن كتف (ماهاتان) وسألته في حدة :

– انا جئتك في الخان ليلا .؟

ولم يجب (ماهاتان) وانما ضمها الى صدره في قوة ... والتقت شفاههما في قبلة حالمة..»

***

وابتسم شهريار وقال :

– لقد بدأت تسخرين ..!

فقالت شهرزاد :

– ما انا بساخرة ...! انما اقص عليك ما حدث ... انها الحياة ...!

فقال شهريار منكرا :

– الحياة ...!! ان الحياة خلال عينيك غريبة شاذة ..!

– ولكنها صادقة عميقة ...!

– اذن ... امضي في قصتك ...

فمادت شهرزاد الى ضجعتها ومضت تقول :

٣

« ما كادت القافلة تصل القرية حتى سعى (ماهاتان) الى معبد الاله (مونا) لمقابلة الكاهن الاعظم (كومو) حاملا معه كيساً يحوي كل ما بقي لديه من ذهب . وكان الوقت مساء ، والقمر يتوسط السماء ، ولاح له المعبد من بعيد يحتضنه الجبل وتتوهج أمامه نيران يتعالى لهيبها حتى يسامي قمم الجبال العالية ويعقد فوقها سحباً كثيفة من الدخان الاسود . وحملت الريح الى انف (ماهاتان) بعضاً من هذا الدخان فاربعد اذ اشتم فيها رائحة لحم يحترق ، وتذكر ان مصير (ماهاتاب) يتوقف على مقابلة الكاهن الاعظم هذه الليلة ، فتقلصت اصابعه على كيس الذهب الذي يحمله وحث الخطو نحو المعبد .

وعندما اقترب : لاح له الاله (مونا) صنما ضخماً سامقاً .. أفطس الانف غليظ الشفتين غائر الخدين ... عيناه فجوتان سوداوان ، اين هذا الاله من الهه (أهورا) الذي يتفجر النور من عينيه وانفه واصابعه ..! انه لم ير اله الشر والظلام قط .. ولكنه واثق انه لا يختلف في سماته عن هذا الاله المخيف (مونا) ..!!

وتناهت الى مسمعيه همهمة هوجاء وصراخ مفزع بعثا في جسده رعدة جارفة ، وكانا يزدادان قوة وحدة كلما اقترب .. ولمح اشباحاً مدثرة بالسواد تحيط بالنيران امام الصنم وتتواثب في جنون وتصدر تلك الهمهمة الهوجاء ، وبين لحظة واخرى يصرخ بعضها هذا الصراخ المفزع . واحس (ماهاتان) بانقباض واكتئاب ، وهم بالعودة ، ولكنه تذكر (ماهاتاب) فانطلق نحو باب المعبد ماراً في طريقه بهذه الاشباح التي تتواثب حول النيران .

وسقط عليه ظل اسود فرفع رأسه مذعورا ، واذا بالصنم (مونا) يتسامق بينه وبين النيران ، ويغطي ظله بقعة كبيرة من الارض عليه ان يقطعها . فتوقف وقد احس بانه عاجز عن ان يمر بظل (مونا) .. ان هذه الظلمة تزحم عليه انفاسه وتخنق صدره .. ولكنه تذكر (ماهاتاب) فشعر بالحنق على نفسه للضعف والخور اللذين تملكاه .. فشدد من عزمه واقتحم تلك البقعة السوداء التي يلقيها ظل (مونا) على الارض .. وشعر بثقل في اطرافه ، وخيل اليه ان هذا الظلام يزحف على قلبه ويشل خفقانه ، فانطلق في جنون يجري بأسرع ما تستطيع قدماه . حتى وصل الى باب المعبد لاهثاً مبهورا يتفصد جبينه عرقاً . ولمح بالباب شيخاً مدثرا بالسواد فتقدم اليه قائلا :

– اريد ان اقابل (كومو) .. الكاهن الاعظم ..

ولم يتكلم الشيخ ، وانما سار امامه خلال ردهات واسعة انتشرت في ارجائها اعمدة من الحجر الصلد، وعلقت في جوانبها مشاعل مؤججة،ورأى ماهاتان في نهايتها مذبحا من الصخر الاسود اقعى امامه شيخ نحيل اصلع الرأس وقد تسربل بالسواد ايضاً ، وكانت الردهة خالية،فادرك(ماهاتان) ان تلك الاشباح المجنونة التي رآها تتواثب حول النيران انما هي اشباح الكهنة . فاقترب من (كومو) محييا ، فنظر له هذا بعينين عشواوين وقد

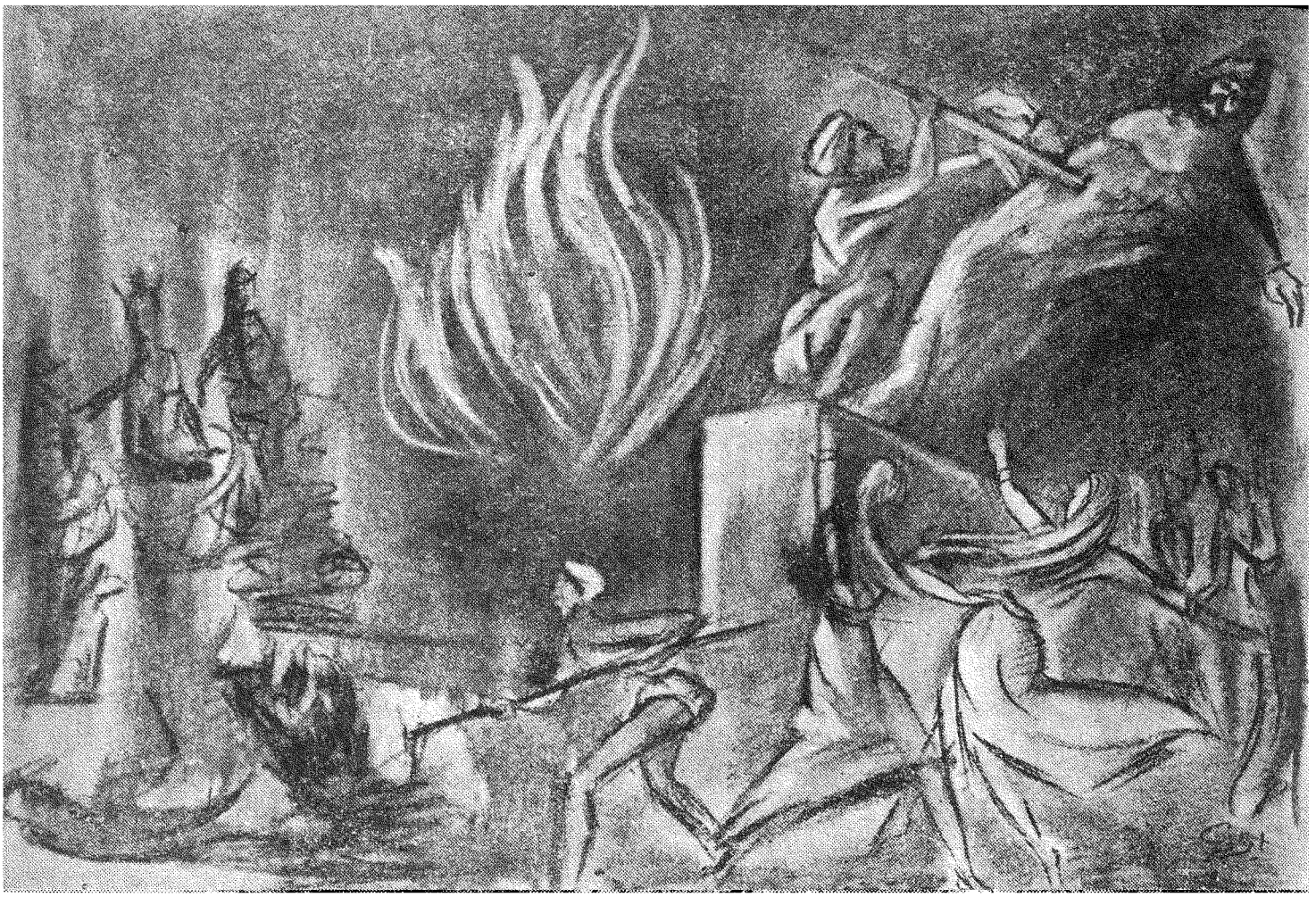

له يداً معروقة يقبلها ثم قال :

– ايها الشاب .. ماذا معك من هدايا ..؟

فجثا امامه (ماهاتان) وقال في صوت مرتعد :

– ايها الكاهن المبجل .. لقد جئتك من اجل (ماهاتاب) ..!

– ماها .. من ؟

– ماهاتاب .. ابنة الاله (مونا) .. !

– وماذا تريد منها ..؟

– اني احبها ايها المقدس .. رأيتها مع ابيها في سمرقند فأدركت انها غاية املي واقصى مطاممي ، جئت خلفها تاركاً اهلي وتجارتي .. من اجلها قطعت القفار ، وتسلقت الجبال وخضت الانهار ، ولو كان بيني وبينها سور الصين العظيم لنقضته حجراً حجراً لاصل اليها ، ولو وضعوا دونها ميزان كسرى لاقتحمتها من اجل ..

فصرخ فيه كومو مقاطعاً :

– وماذا تريد مني ..؟ لا تسرف في الكلام ..

– اريدها هي ايها الكاهن المقدس .. أريد ان تسأل الاله مونا ان يمنحني إياها .. ادعه ان ..

فقاطعه كومو :

– أمعك ذهب ..؟ اريد ذهباً ..! ذهباً ..!

فأفرغ (ماهاتان) الكيس الذي معه تحت قدمي كومو وهو يقول :

– ها هو الذهب ايها المقدس ..! كل ما املك .. محصول عمري .. خذه فداء ماهاتاب ..!!

ونظر الكاهن بعينيه العشواوين تحت قدميه .. ثم ضحك ضحكة دوت في ارجاء المعبد .. فعجب ماهاتان .. وجمع الذهب من تحت قدمي « كومو » وقدمه اليه قائلاً :

– أليس هذا ما طلبت ..! انه الذهب ..!

فأخذ « كومو » الذهب في يده المعروقة ، ثم تركه ينساب من بين اصابعه ويهوي الى الارض وضحكته تجلجل في ارجاء المعبد .. ثم قال :

– اتسمي هذا ذهباً ايها الشاب ..؟!!

– اقسم انه ذهب .. ذهب نقي ..

فعاد كومو يضحك وهو يقول :

– اذا اعلم انه ذهب نقي .. ولكن .. لو جئتني بعشرة اضعاف هذا القدر لما قبلته منك ثمناً لاحدى بنات « مونا » .. تعال .. انظر ..

ولم ير ماهاتان كيف دفع حجراً فانشق الجدار عن فجوة كبيرة مظلمة، ووقف كومو امامها ورفع مشعلاً في يده وقال لماهاتان :

– انظر ايها الشاب .. هذا هو الذهب ..

ونظر « ماهاتان » .. فارتد بصره امام ذلك البريق الذي ينبعث من السرداب الكبير .. ووجف قلبه وجف لعابه .. اذ لم يسبق له ان رأى مثل تلك الكنوز مجتمعة في مكان واحد . ومع ان يعيد النظر .. ولكن كومو رد الجدار مكانه في سرعة وسار عائداً الى مكانه امام المذبح .. ومر في طريقه بالذهب المبعثر على الارض فركله بعيداً وهو يضحك ويقول :

– أهذا ذهب ..؟! أهذا ذهب ايها الشاب ..؟!

– وغمر اليأس قلب « ماهاتان » ، ووقف حائراً مضطرباً تتراقص امام عينيه اضواء المشاعل المعلقة في ارجاء المعبد ، وتثز في اذنيه همهمة

الكهنة امام الصنم في الخارج كأنها طنين الذباب . أهكذا ينتهي كل شيء ..؟ أهذه خاتمة المطاف .. احترق ماهاتاب ويفقدها الى الابد ..؟! ينبغي ان يفعل شيئاً ..!!

واقترب من كومو قائلا :

– ان معي سجاداً ثميناً من سمرقند .. فهل استطيع ..

فصرخ كومو في صبر نافد :

– ذهب ..! ذهب ..! اريد ذهباً ..!

ثم اشار بيده الى باب المعبد وصاح به :

– والآن .. اخرج ايها الشاب ..!

وقضى ماهاتان ليلة مؤرقة .. زاره فيها هم ثقيل وفكر طويل ..

لقد جاءه « اهورا » في المنام فتاب على يديه وهجر عصبته .. ولولا ذلك لما تعذر عليه ان يحصل على ما يريد كومو من ذهب .. انها غارة او غارتان على القوافل .. ثم زيارة لاسواق سمرقند .. فيعود وقد نساء كاهله بما يحمل من الذهب .. ولكن اين هو من سمرقند ..؟. بل اين هو من عصبته الآن ، لو كانوا معه هنا لما احتاج الى هذا العناء .. بل لما احتاج الى شراء (ماهاتاب) من كومو .. فان من السهل عليه اذا كانت معه عصبة ان يختطفها ويفر بعيداً .. بل لن يختطفها وحدها .. وانما يختطف معها كنوز كومو ايضاً .. ان في هذه الكنوز ذهباً يجعله اغنى اغنياء الدنيا .. بالله .. كم يشتهي هذا الذهب ! ولكنه وحيد منفرد لا يستطيع شيئاً .. وليس امامه وسيلة للحصول على هذا الذهب ..

الا تبأله والذهب ..! انه جاء من اجل (ماهاتاب) فلماذا يصرف جهده الى ذهب كومو ..؟. ينبغي له ان يشتري (ماهاتاب) ، ولتحقيق هذه الغاية ينبغي ان يحصل على مزيد من الذهب يقدمه لكومو ما دام عاجزاً عن اختطافها بالقوة .. فاذا لو خرج الى طريق القوافل وعاد الى السطو عليها .. ولن يعجزه ان يجمع حوله بعض الاعوان من صعاليك القرى المجاورة ..

ورفع عينيه الى السماء وابتهل الى (أهورا) ان يعينه ، ثم استسلم لنوم عميق .

ومع الفجر الندي .. ذهب (ماهاتان) لوداع «ماهاتاب » واخبرها انه سيتغيب ايام ليجمع الذهب .. فودعته « ماهاتاب » وابوها واخوتها حتى خرج من القرية على جواده وهو يحمل سيفه .. وانطلق بين الجبال ساعياً الى طريق القوافل .

٤

« وانقضى عام قبل ان يعود « ماهاتان » الى القرية مثقلا بالذهب ، جياشاً بالفرحة والامل ، بعد ان وثق بأن « ماهاتاب » اصبحت له . وعندما دخل القرية راعته تلك الحركة الدائبة التي شاعت بين افراد القبيلة ، وذلك الاضطراب الذي شمل مظاهر الحياة فيها ، كان الشباب يجمعون الاعشاب المقدسة من سفوح الجبال ،وعجائز القبيلة جالسات امام اكواخهن يخطن ملابس زاهية براقة ، فسأل اول عابر سبيل :

– يا اخي .. ماذا يجري هنا .. ؟

فقال الفتى وهو يسرع مبتعداً :

– انه عيد الاله (مونا) .. ستعود اليه غداً احدى بناته ..!

وقفز قلب « ماهاتان » جزعاً .. فربما كانت « ماهاتاب » هي ضحية الغد .. واسرع يقتحم بجواده طرقات القرية قاصداً المعبد ، ودخل على (كومو) في اضطراب ، والقى امامه بخريطة الذهب وهو يقول :

– هذا ثمنها ..

فتطلع اليه كومو محاولا ان يتذكره .. ثم سأله :

– ثمن من ايها الشاب ؟..

– ثمن ماهاتاب ..!.ألم نتفق على ان آتيك بعشرة اضعاف الذهب ..؟ هاك اكثر مما طلبت ..

فانحنى « كومو » الى الخريطة يفحصها ..ثم نادى احد اعوانه وامره بحملها الى السرداب ، وظل ماهاتان يرقب الكاهن حتى انضم الجدار على الذهب .. ثم قال :

– ساذهب لاحضار « ماهاتاب » الآن ..

فسأله كومو في هدوء :

– ولماذا ؟

– لتزوجنا كما اتفقنا .. الم تأخذ الذهب ..؟

– لقد تأخرت كثيراً ايها الشاب .. ان (ماهاتاب) ستعود الى ابيها الاله غداً ..

واحس (ماهاتان) بالمعبد يتزلزل من حوله .. وبالمشاعل تتراقص امام عينيه .. ووجه كومو النحيل يضحك في سخرية .. وصوته الخبيث يصك اذنيه قائلا :

– لقد تأخرت .. نعم .. انت الذي نقضت اتفاقنا بتأخرك ..

وعندئذ لم يطق (ماهاتان) ان يسمح لهذا الشيطان بالمضي في ضحكاته .. فوثب عليه يريد ان يخنقه .. ولكن الكهنة اسرعوا اليه فحالوا بينه وما يريد .. وتراجع كومو الى الخلف وهو يصيح بهم :

– ألقوا بهذا الاحمق الى الخارج ..!

٥

كانت (ماهاتاب) تبكي ، وجثا (ماهاتان) على ركبتيه بجانبها وكان يبكي ايضاً ، كانت اذناه تشكان فيما سمع ، ولكن ما رآه الآن قد قضى على كل شك في نفسه ، فهذه (ماهاتاب) امامه في ثياب الحريق وقد ضمخت بعطر مقدس وألبست تاجاً من الزهر ، اذن ستحرق غداً ..!.. هاتان العينان اللتان تجمعت فيهما آماله ستذوبان بين الجمر المتقد ..! وهذا الثغر الذي كان يمده بالثقة والامل سوف يتحول الى فحم اسود ..! وهذا الشعر الحالك كالليل سوف يمتد اليه اللهيب فيحيله رماداً لا حياة فيه ..! ولاجل من كل هذا ..؟! لاجل هذا الشيخ الاحمق المشعوذ (كومو) .. وتلك الحفنة من الدجالين الذين يحيطون بالاله (مونا) كهنة وسدنة ..!!

ورفع (ماهاتان) رأسه الى السماء وابتهل الى اله (اهورا) :

– يا الهي الخير .. لا تتركني الآن فانا احتاج اليك .. لقد نكثت بعهدي معك .. ولكن ذلك كان في سبيلها .. فاغفر لعبد خاطىء .. اي اهورا .. اين انت ..؟ كن بجانبي ..!!

وخيل اليه ان هالة من نور تنبعث من بقعة في الجدار،ولمح شبح اهورا بلحيته الكثة وبنوره الذي يشع من عينيه وأنفه وأصابعه ، فخفق قلبه فرحاً .. وابتسم اهورا وقال له :

– يا ماهاتان .. لقد عصيتني .. فينبغي الا تعود لمثلها .. قلت لك لا تغفل عني فلا اغفل عنك.. ولكنك غفلت.. فاذا حدث؟ ستساق ماهاتاب الى المحرقة ..!!

فتضرع ماهاتان اليه :

– انقذها يا الهي ... فانت الآن عوني الوحيد .. لقد فعلت ما فعلت من اجلها .. فكن معي .. اقهر الشر الذي يريد ان يحول

بيني وبينها ..

– وهل اقهره وحدي يا ماهاتان ..؟ ألست جندياً من جنودي ..؟ لقد منحتـــك بركتي واضأت عقلك ليعينك .. فالجأ اليه ليدلك على السبيل الذي تتخلص به من كومو ..!.. اذا خلصت من كومو تخلص من الشر كله ..

واختفت هالة النور .. وظلت هذه العبارة تتردد في اذنيه :

– اذا خلصت من كومو تخلص من الشر كله ..! اذا خلصت من كومو ...

لقد اتضحت امامه السبل واستبان الطريق ..

وعادت ماهاتاب تبكي .. ولكن ماهاتان لم يبك معها .. وانما امسك بيدها بين يديه وضغط على اصابعها في عزم وقال :

– (ماهاتاب) .. لا تبكي .. صوني دموعك فلن تسيل بعد الآن .. لن تذهبي الى المحرقة غداً ..!

– لا ادل ..!.. لا امل ..!.. سأحرق غداً .. فوداعاً يا ماهاتان..!

– لن تحرقي .. واقسم على ذلك ..!

٦

مال القمر نحو الافق .. فلم تبق منه الا اشعة مخنوقة لا تكاد تضيء امام الابصار شيئاً من الظلام الحالك الذي شمل الكون في منتصف الليل ، واخذت النجوم ترتعش في السماء شاحبة كأنما تريد ان تنغمر في بحر الظلام الذي تسبح فيه، ولم يكن يبدد هذا الظلام الا اشعة صفراء تنبعث من كوة في اعلى جدار المعبد .

وانسل ماهاتان من باب المعبد تقوده رائحة البخور التي تنبعث مـــن الردهة.. وهيهمة الكهنة وهم يحتفلون بليلة عيد القربان . وانتهى (ماهاتاب) الى الردهة الكبرى حيث وقف رتل من الكهنة خلف (كومو) .. كانوا أشباحاً تسربلت بالبخور الذي ينبعث من مبخرة كبيرة امام المذبح. واسرع ماهاتان يختفي خلف المذبح وقد استل خنجره . ثم انتظر ساعة آملاً ان ينفض الكهنة ويبقى كومو وحده . ولكن الفجر اوشك ان يبزغ ولم تحن له الفرصة بعد .. وانما هي تراتيل لا تنقطع .. وسحب من البخور لا تفتأ تتصاعد في الجو . ونفد صبر ماهاتان . ماذا يكون الامر لو مضى الكهنة في صلواتهم هذه حتى تشرق الشمس ويبدأ الحفـــل ..؟! لا .. لن يحدث هذا ..! ولو اقتضى الامر ان يقتل الكاهن الاعظم وهو وسط كهنته..! لن يبالي بالنتائج.. فليقتلوه .. ولكن بعد ان يقتل كومو ويخلص ماهاتاب ..!!

وحبس ماهاتان انفاسه عندمـــا رأى كومو يقترب من مكمنه . واشتد اقتراب كومو حتى اصبح بينهما خطوة واحدة ، فارتفعت يـــد ماهاتان في سرعة .. وهوت بالخنجر الـــلامع الى ظهر كومو في طعنة موفقة من يد مدربة .. واطلق كومو صرخة مذعورة .. ثم تهاوى تحت قدمي ماهاتان .

واراد ماهاتان ان يطلق ساقيه للريح .. ولكن صرخة كومو اثارت انتباه الكهنة .. فرآهم يتقدمون نحوه وقد سدوا أمامه طريق الباب .. فاخذ يتلفت حوله باحثاً عن طريق آخر للفرار ، ولكن بصره ارتـــد امام الجـــدران الصماء التي تحيط به ، ثم استقر عند الباب الذي وقف الكهنة دونه .

اذن .. فقد انتهى كل شيء ..! سيقتله هؤلاء الشيوخ المشعوذون ..! انه لا يأسف كثيراً .. فحسبه انه انتقم لاحراق ماهاتاب في الغد. والتصق بالجدران مستسلماً لنهايته المحتومة .

وعندئذ حدث شيء غريب .. فقد خر الكهنة ساجدين امـــامه ، وبهت ماهاتان، وصاح احدهم بأصوات مبهمة غامضة لم يفهم منها شيئاً..وردد الآخرون هذه الاصوات . ثم تقدم احدهم متئداً متمهلاً .. وامسك بيد ماهاتان يقبلها وقال :

– يا سيدي .. لقد انتظرناك أجيالاً طويلة .. ونحمد الآلهة ان ظهرت في زماننا ..

وحدق فيه ماهاتان دهشاً وقال :

– مادا تعني ايها الشيخ ..؟

– انت سيد الكهنة الذي حدثتنا عنه الكتب ..!

– من ..؟ انا ..؟ ما انا الا قاطع طريق ..!!

– انت قاطع طريق ..؟!! اذن فانت تماماً من حدثونا عنه .. لقدقالوا لنا انه سيأتي من بلاد غريبة .. وسيكون شقياً ثم يتوب ..!!

– ومن ادراك انه انا ..؟

– قالت كتبنا ان علامتك ان تقتل الكاهن الاعظم خلف المذبح عند اختفاء القمر ..

ثم امسك بيد ماهاتان وقاده الى الجدار الذي يختفي خلفه الذهب ... ودفع حجراً فتحرك الجدار ، ورفع المشعل الذي يحمله في يـــده فوق رأسه .. ونظر ماهاتان داخل الغرفة .. فارتد بصره امام البريـــق المتلألىء الذي ينبعث من اركانها..ووجف قلبه وجف لعابه..وقال الكاهن:

– هذه كنوزك ايها المقدس ..!!

صدر اليوم

الخوارج

في الإسلام

وصف رائع لاخطر ثورة طالبت بالحكم الجمهوري في الاسلام

كيف ظهر الخوارج وكيف نشأوا ، وكيف حملوا السيف يدعون لرأيهم فانتشروا في ارض الامبراطورية العربية يحملون الرعب والحرب ثم كيف تمزقوا وانهاروا.

منشورات مكتبة المعارف في بيروت

شارع المعرض ص. ب ١٧٦١

الثمن ١٥٠ ق. ل

اهذه الكنوز اصبحت له حقاً .?. اهذه الاموال التي لم يسبق ان اجتمع مثلها في مكان واحد ، قد اصبحت ملكاً خالصاً له .?! انه اذن اغنى رجل في الدنيا ..! وقال الكاهن :

– في حفل الغد .. سنعلن للناس ظهورك . وتباركهم .. وتتلقى هداياهم .. ثم تقود الرجال في رقصة القربان .!

وأعادت هذه العبارة ماهاتان الى وعيه .. وتذكر ان هذا القربان هو ماهاتاب .. ولقد قتل الكاهن الاعظم لانقاذها .. وها هو الان قد اصبح الكاهن الاعظم .. وباشارة من يده تنحو من المحرقة . فالتفت الى الكاهن وقال :

– ما دمت انا الكاهن السيد .. فاوامري مطاعة .. اليس كذلك ?

فاحنى الكاهن رأسه مؤيداً .. ومضى ماهاتان يقول :

– ومن حقي ان الغي حفل القربان .?

فهز الكاهن رأسه نافياً وقال :

– وكيف يتم اذن تنصيبك سيداً اعظم .?. لن يكون ذلك الا في حفل القربان ..!

وفكر ماهاتان قليلاً .. ثم قال :

– وهل احراق فتاة امر ضروري لاقامة الحفل .?

– انها القربان المقدس .. لن يكون الحفل مقدساً الا بذلك . !

وعاد ماهاتان يفكر .. ان حصوله على الذهب يتوقف على احراق فتاة .. ولكن ليس من المحتم ان تكون ماهاتاب .. فلتحرق فتاة اخرى اذن .. والتفت للكاهن وقال :

– اذن .. هاتوا فتاة اخرى غير ماهاتاب ..!

– ولكن ذلك محال .. ليس هناك من الوقت ما ..

فقاطعه ماهاتان في حزم :

– لن تحرق ماهاتاب .. هذا امر الاله ..

ولم يتكلم الكاهن .. وانما تقدم يقود ماهاتان الى حجرة الذهب .

٧

« واشرق الصباح على ماهاتاب . كانت المحرقة هي الحلم الذي لم يفارق جفنيها خلال الليل .. لقد اخبرها ماهاتان انه سيذهب لقتل كومو ووعدها بالا تحرق .!. ولكن ها قد اشرقت الشمس ، ولما يحدث ما يبشر بتغيير .. فما زال الاعداد لاقامة الحفل يشغل اهل القرية .. ولم تسمع ضجيجا يشير الى ان كومو قد قتل ، بل انها لترى افراد القبيلة يسيرون نحو المعبد حاملين الاعشاب للمحرقة .!. اترى فشل ماهاتان .?. أتراه قتل ..? انها لا تهاب المحرقة الآن .. بل انها لترحب بها .. فهو طريقها الوحيد الى الالتقاء بماهاتان بعد الموت .!.

واستسلمت ماهاتاب لمصيرها .. فلم تستشعر خوفاً واسى عندما سمعت ضجيج الطبول وصراخ الراقصين حول النار امام المعبد ، وعندما اقبل الموكب يقودها الى المحرقة لمح الكهنة على شفتيها بسمة .. فباركوها وهم يحسبونها فرحة بعودتها لابيها الاله مونا .

وبدأ الراقصون رقصتهم حول النار .. وارتفع قرع الطبول وصراخ الرجال ، ثم سكن كل شيء عندما ظهر صفان طويلان من الكهنة حول باب المعبد في يدهم المباخر ، ثم ظهر شبح مدثر ملثم شق الصفوف وهو يحمل عصا الكاهن الاعظم . وبدأت صلاة طويلة ، ولكن ماهاتاب لم تأبه لها ، فقد كانت تفكر في ماهاتان .. انه مات .. وستلتقي به بعد قليل .. ستتعانق روحاهما بعيداً عن شرور البشر وآثامهم .. سيتخلصان الى الابد من مؤامرات الكاهن الاعظم كومو .. ذلك الشبح المدثر الملثم الذي يقف على رأس الكهنة ..

وانتهت الصلاة .. ورفع الكاهن يده .. فتقدم رجاله واججوها .. والقوا البخور في المباخر الضخمة .. فادركت ماهاتاب ان النهاية قد حلت .. واغمضت عينيها .. واستسلمت للكاهن الذي قيد يديها ثم قادها الى المحرقة . وعادت الطبول تدوى .. والبخور ينطلق .. وارتفعت صلاة القربان من فم الكهنة ، ثم رفع الكاهن الاعظم يده ، فامتدت اربعة اذرع تجذب ماهاتاب الى المحرقة ..

ووقفت ماهاتاب على حافة النيران تستقبل سميرها ، لم يكن امامها من الحياة الا لحظات قليلة فينبغي ان تودعها .. انها غير آسفة عليها حقاً، فحياة خالية من ماهاتان لا يبكي عليها ، ولكن يجب ان تلقى على الدنيا نظرتها الاخيرة ،ولقد ادارت رأسها الى الخلف تنظر الى الناس . هؤلاء اخوتها يشتركون في الرقص .. وها هو ابوها ينظر اليها من بعيد .. انها لتلمح في عينيه دمعة تريد ان تنحدر ، وهذا صف الكهنة الذين ارسلوها الى النيران .. وهذا كومو الذي اراد ماهاتان قتله فقتله هو ..

ورفع الكاهن الاعظم اللثام عن وجهه قليلا .. ولمحت ماهاتاب ملامح تعرفها جيداً .. ملامح كانت تبكي معها في الليل .. ولكنها رأتها الان جامدة متحجرة .. ولم تصدق عينيها ، ولكن اللثام ارتفع تماماً فلم يجعل لديها شكاً ولا ريبة ، فهوت الى النيران وهي تصرخ :

– ماهاتان ..!

ولكن صرختها ضاعت وسط ضجيج الطبول وصراخ الرجال .. »

***

وصمتت شهرزاد .. فرفع شهريار اليها عينين اضناهما الاسى وسأل :

– ثم ماذا ..?

فابتسمت شهرزاد وقالت :

– لا شيء .. انتهت القصة ..!

فوقف شهريار مغضباً وهو يقول :

– انتهت ..? انها اذن قصة سخيفة.. ماذا حدث لماهاتان بعد ذلك .?

فقالت شهرزاد وقد خالط صوتها قوة :

– حدث له ما ينبغي ان يحدث ، فقد اصبح صنماً ، وظل يقوم بما كان يقوم به كومو .. في كل يوم يحمل اليه ذهب .. وفي كل عام تتلقف النار عذراء .. حتى ..

فانتبه شهريار وسأل :

– حتى .. ?!

– حتى جاء يوم رفضت فيه احدى العذارى ان تساق الى المحرقة .. فثارت في الكهنة .. وثارت معها فتيات القرية ،وايدهن الرجال في ذلك.. ثم قام الجميع الى (مونا) فحطموه .. والى ماهاتان وكهنته فعلقوهم في المشانق ..

ومضت الحياة في طريقها السوي ..!

القاهرة

عبد الرحمن فهمي

من الجمعية الادبية المصرية